Moshe Shamir, **My Life With Ishmael**
(London, Vallentine, Mitchell, 1970).

موسى شامر مقاتل قديم في البالماخ وضع مؤخرا كتابا بالعبرية سجل فيه خبراته وتجاربه خلال عملية استيلاء الاستعمار الصهيوني على ارض فلسطين (بما في ذلك حرب عام ١٩٦٧) وحيث يعرض الاستنتاجات والآراء التي يفترض انه توصل اليها وكونها عن العرب وحياتهم الاجتماعية والسياسية. لذلك جاء كتابه يحمل العنوان التالي: « حياتي مع اسماعيل » باعتبار ان العرب هم من ذرية اسماعيل وفقا للحكايات الدينية القديمة والمتوارثة . وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية ونشر مؤخرا في لندن ولا شك انه سيلاقي اقبالا في بعض الاوساط الانكليزية والامريكية التي اعتادت على تلقف مثل هذا الانتاج والترويج له . المؤلف من اصل روسي ومن مواليد فلسطين عام ١٩٢١ .

ان اول ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو الاسلوب الذي كتب فيه بمعنى ان المؤلف لا يتبع الطريقة المعهودة في كتابة المذكرات مثلا او الاسلوب السردي او القصصي مما هو متعارف عليه في مثل هذه الكتابات ، عوضا عن ذلك يعرض علينا مجموعة كبيرة ومفككة من التصورات والانطباعات والاحكام والتعميمات والتجارب حول عدد ضخم من المسائل السياسية بطريقة تفتتها الى جزئيات وتفصيلات تافهة ومملة في معظم الوقت . يعرض المؤلف ما عنده من افكار واحكام مستخدما ضمير المتكلم مما يجعل كتابه يبدو ، لاول وهلة ، وكأنه شهادة شخصية لانسان مر بتجارب متنوعة ومتعددة فتوصل الى قناعات متميزة وعميقة وغير مألوفة مما يبرر قيامه بتأليف هذا الكتاب . غير ان نظرة ثانية الى محتويات الكتاب تبين بسرعة انه يفتقر كليا الى أي من هذه الخصائص التي يحاول ان يتلبس بها كما تبين ان انطباعات المؤلف الشخصية المزعومة ليست الا البضاعة الدعائية العتيقة والمستهلكة جدا مما تروج له الصهيونية باستمرار حول استيلائها على فلسطين وكل ما ترتب على ذلك من نتائج وعواقب . في الواقع لا يخرج الكتاب عن كونه مجرد اعادة وتكرار للروايات الصهيونية الرسمية وغير الرسمية حول شتى المواضيع ابتداء من وضع اليهودي في اوروبا والعالم وانتهاء بحرب عام ١٩٦٧ ومرورا بهزيمة عام ١٩٤٨ . وكثيرا ما ينحدر هذا التكرار في الكتاب الى مستويات غريبة من الفجاجة والبدائية والتبسيط الساذج للاحداث والامور ، خاصة عندما يعطي المؤلف رأيه في العرب والمجتمع العربي .

يبدا الكتاب بعملية اختزال سريعة لتاريخ اليهود الاجتماعي والسياسي الى وضع واحد فقط هو الدفاع عن النفس . اليهودي منذ بداية تاريخه حتى هذه الساعة هو الانسان الذي يدافع عن نفسه باستمرار ضد قوة خارجية ضده . هذه هي الحكمة الوحيدة التي استطاع موسى شامر استخراجها من تجاربه حول كل ما يتعلق بتاريخ اليهود الطويل . ولو اردت اختصار « نظريته » في التاريخ اليهودي لقلت « انا ادافع عن نفسي باستمرار ودوما فاذن انا يهودي » . بطبيعة الحال واضح ان كل هذه السفسطة ليست الا تعبيرا صريحا وفجا عن النظرية الصهيونية الرسمية حول التاريخ اليهودي والقائلة بأن اليهود امة منفصلة باستمرار عن بقية شعوب الارض وتاريخها لا يخضع لمنطق التاريخ وتحولاته المعروفة، كما انها تتميز بخصائص ثابتة تفردها عن بقية الشعوب وتاريخها الى آخر ذلك مما هو معروف جيدا . انطلاقا من هنا يستمر الكتاب في ترديد كل ما في جعبة الدعاية الصهيونية من افكار وانصاف حقائق وتشويهات حول كافة الموضوعات المعنية . على سبيل المثال يسجل المؤلف « الانطباع الشخصي» التالي حول نزوح الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ : « ينبغي على مئات الالوف من العرب الذين فروا من على ارض دولة اسرائيل الا يلوموا احدا الا انفسهم وزعماءهم باعتبار انهم تركوا برضاهم التام . » (ص ٣٢) لكن المؤلف لا يذكر للقارىء ان هذا « الانطباع » ليس في الواقع استنتاجا توصل اليه بعد تأمل بل هو الموقف الرسمي للمؤسسة الصهيونية ليس الا . بعبارة اخرى يردد شامر هذا الكلام بطريقة توحي للقارىء الغربي ببراءة الكاتب واخلاصه الشخصي التام في طرح اجتهاده في الموضوع . كذلك يكرر — بنفس الطريقة الموحية بالبراءة الى حد السذاجة — الاسطورة الصهيونية القائلة بأن الصهيونيين جاءوا الى فلسطين فوجدوها صحراء مجدبة فحولوها بعملهم وجهودهم الى واحة للديمقراطية والتقدم والحضارة ... في منطقة تطغى عليها كافة